العلاقة بين الحرية والمسؤولية:-

إن العلاقة بين الحرية والمسؤولية هــي علاقة تلازم وتكامل، لتكون حرية الإنسان إرادة خيرة فاعلة في مسؤولياته بالرغبة والاقتناع، وتكون المسؤولية استثمارا عاقلاً ونافعًا لإرادته الحرة، من أجل مصلحة الفرد والجماعة والمجتمع والأمة والإنسانية جميعًا.

أما الحرية المطلقة بغير قيود ولا حدود، فهي سلوك بهيمي فوضوي مفسد ومدمر، لايليق بكرامة الإنسان صاحب الرسالة، ولا بحياته ومجتمعه.

إن حقيقة التلازم بين الحرية والمسؤولية في حياة الإنسان أشبه بحال السائق وقواعد نظام السير: فأنت حر أن تركب سيارتك من ذوقك واختيارك، وتسير حيث تشاء، لكنك مطالب بمراعاة قواعد نظام السير واحترامها، حفاظاً على سلامتك وسلامة غيرك، ولو أردتها حرية مطلقة في الطريق بغير التزام ولا انضباط، جنيت على نفسك وعلى غيرك وعلى النظام العام.

والواقع شاهد بالمآسي المفجعة لحوادث السيرعلى مغبة التهور والشطط وخرق حدود الحرية وضوابطها .

فلابد لحرية الإنسان من ضوابط تكبح جماحها وتلزمها سمت الاعتدال وتروضها على التفاعل الإيجابي مع الواجب والمسؤولية، فمهما كانت حريتك حقا مشروعا، فهي تنتهي حيث تبدأ حرية غيرك، وأيًا كان حقك فيها فهو قرين الواجب نحو غيرك، وتلك ضرورة الحياة الاجتماعية الإنسانية التي لا تستقيم على الأمن والاستقرار بغير انضباط والتزام.

وبهذا تزول مظاهر الخلط والاضطراب والالتباس الحاصلة في هذا الموضوع، لأن كثيرا من الناس يحكمون أهواءهم وأنانياتهم في فهم الحرية وتقدير المسؤولية وممارستهما. وإنما فسدت أحوال المجتمعات واضطربت وضاعت المصالح والأمن والاستقرار بعاملين رئيسيين:

أحدهما: الإفراط والغلو والشطط في طلب الحرية وممارسة حقها، بغير ضوابط عقلية ولا دينية ولا خلقية، فتصبح تهورا وتمردا تعقبه الشرور والمفاسد.

وثانيهما: التفريط والتقصير في أداء واجب المسؤولية، عن جهل أو تجاهل أو تمرُّد، مما يؤدي إلى ضياع الحقوق والمصالح. لهذا يحرص الإسلام بتشريعه الربَّاني الحكيم على التلازم والتوازن والاعتدال بين الحرية والمسؤولية وما يتعلق بهما من الحقوق والواجبات، كأساسٍ لتوازن الحياة الإنسانية أخلاقيا واجتماعيا وحضارياً .

فحين يرعى الإسلام حرية الإنسان، فانه يؤسسها بداية على تحريره هو من كل ما يكبل إرادته ويلغي إنسانيته وكرامته. يحرره في قلبه ومشاعره من سيطرة الأهواء

والدوافع الشيطانية الانحرافية، ويحرره في عقله وتفكيره من قيود الأوهام والخرافات والانحرافات الفكرية، ويحرره في بدنه وكيانه من عناصر الظلم والقهر والاستعباد والمهانة، وذلك من أجل أن تبقى كل معاني العبودية والخضوع خالصة لله وحده، وهو الذي أراد لعباده حياة التحرر والكرامة والامتياز قال تعالى: **{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً}** .

وحين يرعى مسؤوليته، فإنه يربيه على تقديرها وتعظيم شأنها باعتبارها أمانة: وعهداً مرعياً، وذلك من خصال الإيمان قال تعالى: **{وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ }** .

ويعتبرالإسلام الناس جميعا مسؤولين، كل في دائرته وبحسب استطاعته وسعته كما هو البيان الصريح للحديث الصحيح عن الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال:-

«كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» .

وإنما سميت المسؤولية كذلك ووصف الإنسان بها لأنه متبوع بالمساءلة والحساب بموازين الدنيا أولاً ثم يوم القيامة، فان أفلت من الأولى فلا مفر من موازين الحق يوم القيامة مصدقاً لقوله تعالى: **{يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَاللّهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ}** .

لذلك لابد في مقياس تحمل المسؤولية من وجود شرطين متكاملين وهما الأهلية، والأمانة، قال تعالى:{وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ} .